

ان الكرام قليل

تحت العنوان أعلاه أبت جريدة تونسية رجلاً عظيماً حقيقياً بأن يقال له كريم على حين الكرام قليل، ومحسن على حين المحسنون قليل، ومصلح على حين المصلحون قليل، وعامل بكده لا من كيس غيره على حين العاملون قليل، كل هذا يحق أن يوصف به رجل أفريقي وفي خصوص أفريقيا الشمالية وصفاً دقيقاً حقيقياً لا من خداع العناوين، هذا الرجل الذي أسس لامته مجدداً وفخراً بكده بحلال مال له بال اكتسبه بالقرش بل بالصوردي والصانطيم كسب عناء وشقاء، واقتصاد وأنفقه بالمليون في سبيل النفع العام، في سبيل حياة الأمة الأفريقية، في سبيل الاحسان لبني الانسان، في سبيل احياء القرآن واحياء الفضيلة، في سبيل احياء العربية والعروبة، في سبيل الوطنية الحققة في سبيل الله خالصاً حقاً، لا رياء ولا مراء ولا طنطنة ولا تخفخة ولا جمجمة ولا مهرجان، لا في سبيل الرفه القتان والفخر الكاذب والغناء والقيان، والملاذ الضارة والفسوق والعصيان وسبيل الشيطان دون امتنان، ذلك هو المفضل حقيقة سيدنا ومولانا محمد بن علي التريكي خير رجل انجبته مدينة سوسة بالقطر التونسي، ولنا أن نقول خير رجل رزئت به أفريقية الشمالية في هذا الاوان، هذا الرجل الذي حرّم ورثته من غنى عظيم وجعله لاولاد المسلمين .

هذا الرجل كان فقيراً من عائلة ماجدة عضها الدهر بنابه، ولما دخل معترك الحياة دخل بفرس هو كل ما يملك فاشتغل يسوق به عربية وسمت به همته وإيمانه فصار يكتسب بها قوته وما يقتصده ففتح الله له أبواب فضله بمفتاح النية الصادقة ولم يمض عليه زمن طويل حتى صار الناس يعملون تحت نظره واشرافه وبماله فاتسعت مكاسبه اتساعاً عظيماً من حلال لانه وقف مع أوامر الله فلم يتعامل برى ولا اقترض ولا اقترض بفائدة فتمى خيره حتى حسده غيره، وصارت ثروته تعد بملايين، ثم ان الله جعل قلبه معلقاً بالقرآن العظيم الذي هو فخر الاسلام والعرب ونجاح كل أرب ومنبع الفضيلة وسيف الله المصلة على كل رذيلة فكان يبكي لسماعه ويتزئم لتلاوته وهزته الاربعية الاسلامية الى احياء ما اندثر من معالمه وافشاء مكارمه فشيد بسوسة مدرسة قرآنية لها شأن عظيم قدرت نفقتها بمليون فرنك على نسق عصري بهيج أنفق عليها من ماله وعرق جبينه وكبد بيمينه وأعاته زوجه وشقيقته على مهمته وحبسها بجميع ما حولها مع دار اخرى حذوها على أهل بلده وهي الآن

ناوي خمسمائة تلميذ ووظف لادارة المدرسة قربه الشيخ التهامي عمار من أعلام العلماء المستنيرين ورئيس جمعية المدارس القرآنية ولها من الدخل ما يقوم باصلاحها لدى الاقتضاء .

ولقد كان الفقيد مع ذلك مشتهراً باطعام الطعام على الدوام وله من المكارم الحميدة ما يضيق عن استيعابه المقام، فثل هذا الرجل تبكى ويرقى بكل قلم وكل لسان، مثل هذا الرجل حقيق أن يلقب فخر الشمال الافريقي، مثل هذا الرجل يكون له الخلود التاريخي زيادة عن الخلود الاخروي، ومثله في القطر التونسي كثير، ففي يونس أمين بائع السمن والزيت حبس أيضاً مدرسة قرآنية وحبس عليها ريعاً وانفق عليها من ماله شيئاً كثيراً ولم يكن من المثريين الكبار فاستحق اعتناء الباى به وعلق على صدره وسام الشرف وذهب الباى بنفسه لمدرسته وزارها تنشيطاً لامثاله، وفي صفاقص رجل آخر فعل مثل فعله، وفي غيرها من مدن القطر التونسي الشقيق، ونحن بدورنا نحق أن ننوه بفخر الرباط بل فخر المغرب المرحوم السيد الحاج محمد جسوس الذي تكرم ببقعة أرض شيدت فوقها مدرسة ابتدائية عربية فرنسية وبيع بقية الارض الفاضلة فكان منها الاتفاق على المدرسة، يمثل هذا يفخر الرباط بل يفخر المغرب.

اذكر القراء في مقالتي السابقة نشرتها على هذه المجلة في رجب ١٣٥٣ عنوانها «المحسنون الى الوطن المغربي حقيقة» وفيها نوهت بالمحسن العظيم احمد باشا المنشاوي المصري الذي خلد آثراً في بناء صروح العلم والدين بمصر نسبته الى ما خلده الافريقيون كبحر طم على القرى ولكن أفريقيا في مستهل حياتها العلمية الحديثة فلا تستصغر ما يشيدون ولا ما تجوده أكرمهم على قلة ذات يدهم، وهذه المقالة الثانية تذكير لما اغفلناه من المكرمة الجسوسية الرباطية هناك لكون أمرها كان اذ ذاك في طور التكوين كما اننا لا نفعل مكرمة باشا الحمراء فانه حبس دارين على مدرسة عربية فرنسية تضم ما ينيف على مائة تلميذ، فنشكر همته العالية وزجو أن يؤسس بدوها مدرسة تليق بمقامه في احد بساتينة الفناء على نسق صحي وعصري متين ويحبس عليها ريعاً يقوم بنفقتها كما كانت وعد والله لا يضع اجر المحسنين، ومثل هذا فليعمل العاملون. ع. م. ح.

— ومن جملة المحسنين الابرار أيضاً من تونس سيدي الحاج علي صوة وسيدي الحاج قاسم بن يوسف وسيدي سعد بن علي الدغري الذين ذكرناهم في مقالنا المتعلق بـ «طلبة شمال افريقيا»، ومن الجزائر سيدي محفوظ الزدك، ومن المغرب سيدي الحاج أحمد بلافريج الذي باع املاكه لاتمام المدرسة الجسوسية.